التطبيقات التربوية المتضمنة في سورة (الضحى) وسبل توظيفها في إثارة الدافعية لدى المتعلم

د. الزهرة الأسود
جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي (الجزائر)

*** ملخص البحث:**

تلعب الدافعية دورا حاسما في عملية التعلم؛ فهي تمثّل المعّزز الأقوى لاستمرار التعلم والمدّعم الأكبر لحصول النجاح لدى المتعلم، وعليه من المفيد أن يتناولها المربون بالبحث عن تطبيقاتها التربوية في مجال التعليم المدرسي كوسيلة لمعالجة ضعف مخرجات المؤسسات التعليمية.

والمتأّمل في سورة (الضحى) يجد أنها زاخرة بالأساليب والتطبيقات التربوية التي تساهم في إثارة وتعزيز الدافعية لدى المتعلم، بدءا بخلق جّو يسوده الطمأنينة والأمن النفسي وصولا إلى تحقيق النجاح والتطلع إلى المستقبل بتفاؤل وإيجابية.

هذه التطبيقات التربوية؛ هي ما سيتناوله البحث الحالي علّها تكون عونا للمدرسين على تحقيق أهداف التعلم وتحسين مخرجات المؤسسات التعليمية.

*** مقدمة:**

يسعى المربوّن إلى إيلاء موضوع الدافعية للتعلّم أهمية بالغة بالبحث والتقصّي عن سبل إثارتها وتعزيزها لدى المتعلم، باعتبارها تمثّل عوامل نفسية تحّرك أفكار المتعلم وميوله لممارسة أنشطته التعليمية، وبالتالي فهي تعتبرمؤشرا جيّدا للتنبؤ بالأداء المدرسي.

هذا؛ وتتبدى أهمية الدافعية من الوجهة التربوية كونها هدفا تربويا في ذاتها، فاستثارة دافعية الطلاب وتوجيهها وتوليد اهتمامات معينة لديهم، تجعلهم يقبلون على ممارسة نشاطات معرفية وعاطفية وحركية خارج نطاق العمل المدرسي وفي حياتهم المستقبلية، هي من الأهداف التي ينشدها أي نظام تربوي (نشواتي،1996، 206).

وإن استثارة دافعية المتعلمين فيما يقدّم لهم من خبرات ويعرض لهم من مواقف، تعمل على تنشيطوتحريك تفاعلهم النشّط مع هذه الخبرات والمواقف، كما تسهم في توجيه انتباههم وتكيّف

جهودهم نحو تحقيق هدف التحصيل، وتعمل على حثّهم للاستمرار في أنشطتهم الذهنية، وزيادة إيجابيتهم حتى يتسنى لهم تحقيق الهدف التعليمي (قطامي،1993).

وعليه، تعدّ الدافعية للتعلم ضرورة أساسية لحدوث التعلم، وترجع كثير من مشكلات العملية التعليمية إلى انعدام دافعية التعلم لدى المتعلمين أو إلى انخفاضها (الطنّاوي،2001 ،147).

كما يرى "كيلر" (1987) أن غياب الدافعية لديهم ربما يعزى إلى عوامل كجهل المدرسين بأهمية الدافعية في عملية التعلم، أو لعدم قدرتهم على إثارة الدافعية لدى الطلاب نحو تعلم خبرات معينة (الزغلول،2012، 227).

ومع إيماننا بأن القرآن الكريم ينبغي أن تؤخذ منه قواعد السلوك وغيرها، فإن المتأّمل في سورة الضحى يجد أنها زاخرة بالأساليب والتطبيقات التربوية التي تساهم في استثارة الدافعية لدى المتعلمين، مما يدل على السبق القرآني للمذاهب البشرية في حّل المشكلات المعاصرة لاسيما مشكلات العملية التعليمية وما يتسبّب في انخفاض الدافعية لدى المتعلمين.

ومن هذا المنطلق، جاء هذا البحث ليبرز أهم التطبيقات التربوية التي جادت بها سورة الضحى، وأهم أساليب إثارة الدافعية لدى المتعلم التي تداولتها أدبيات البحث في علم النفس والتربية، لنخلص في الأخير إلى تقديم صيغة تربوية للاستفادة من تلك التطبيقات التربوية في استثارة الدافعية لدى المتعلم.

* المبحث الأول: سورة الضحى موضوعاتها ومقاصدها وتطبيقاتها التربوية:

ورد في "تفسير الجلالين" أن سورة الضحى مكّية وآياتها إحدى عشرة آية، نزلت بعد سورة الفجر، ولما نزلت كبّر صلى الله عليه وسلم آخرها فسنَّ التكبير آخرها، وروى الأمر به خاتمتها وخاتمة كل سورة بعدها؛ وهو الله أكبر أو لا إله إلا الله والله أكبر.

* المطلب الأول: سورة الضحى: موضوعاتها ومقاصدها

أبطأ الوحي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أياما وهو بمكة حتى شقّ عليه وجزع جزعا شديدا حتى قيل له إنّ ربك قد قلاك وودّعك، فنزلت هذه السورة تخبره أن ربه ما ودّعه وما قلاه. (السامرائي،2002، 109)

كما نزلت هذه السورة لتبشّر النبي صلى الله عليه وسلم برضا ربه تعالى عليه، ولتسوق جانبا مّهما من نعم خالقه عليه، ولترشد أمته من خلال شخصه الكريم بالمداومة على مكارم الأخلاق التي من مظاهرها العطف على اليتيم والإحسان إلى السائل والتعريف بنعم الله تعالى.
(حسين ونعمان،ب ت، 87)

فنزل هذا الفيض من الوّد والحب والرحمة والإيناس والقربى والأمل والرضا والطمأنينة واليقين.
(قطب،ب ت، 4603)

وعليه، فإن موضوع سورة الضحى الحديث عن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تضمنت جملة من المقاصد، يمكن إيجازها على النحو الآتي: (الزحيلي،ب ت، 665-673)

– ابتدأت السورة بالقسم الإلهي العظيم على أن الله عّز وجل ما قلا رسوله ولا أبغضه ولا هجره ولا تركه، وإنما هو محل العناية الربانية، وهو عظيم القدر عند الله تعالى: (وَالضُّحَى ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿٣﴾).

– ثم بشّره ربّه بأن مستقبله أفضل من ماضيه؛ فقال: (وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴿٤﴾).

– كما بشّره بعطاء جزيل؛ فقال: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿٥﴾).

– ثم عدّد الله تعالى نعمه على رسوله صلى الله عليه وسلم قبل إرساله، وكأنه قال: ما تركناك وما قليناك قبل أن اخترناك واصطفيناك فتظن أنّنا بعد الرسالة نهجرك ونخذلك؛ فقال: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾).

– ثم أمره ربه ببعض الأخلاق الاجتماعية، وبشكره على هذه النعم؛ فقال:

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾)؛ قال مجاهد ومقاتل: لا تحقر اليتيم؛ فقد كنت يتيما، وقال الفّراء: لا تقهره على ماله فتذهب بحّقه لضعفه (الرمضاني،2006، 408).

* (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾)؛ قال الحسن: أما إنه ليس بالسائل الذي يأتيك، ولكن طالب العلم، وهذا قول يحي بن آدم قال: إذا جاءك طالب العلم فلا تنهره، والتحقيق أن الآية تتناول النوعين (سليم وآخرون، 2010، 209).

* (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾)؛ أي حدّث بنعمة الله، لكن تحدث بها إظهارا للنعمة وشكرا للمنعم، لا افتخار بها على الخلق (العثيمين، 2003، 244).

وجاء في "التبيان في أقسام القرآن": والتحقيق أن النعم تعّم هذا كله فأمر أن لا ينهر سائل المعروف والعلم وأن يحدِّث بنعم الله عليه في الدين والدنيا (عن السامرائي، 2002، 120).

فحريّ بالإنسان أن يتذكّر نعم الله عليه ليشكره عليها وليحافظ عليها، وأن يثق بيقين الله في معاونة المبتلين فيكون بذلك من الشاكرين.

*** المطلب الثاني: التطبيقات التربوية المستنبطة من سورة الضحى:**

تمثّل التطبيقات التربوية الترجمة الحقيقية للجانب النظري، وفي هذا التناول هي تعكس الأساليب التربوية التي تزخر بها سورة الضحى والتي ينبغي أن يستفاد منها في مجال التربية والتعليم على وجه التحديد.

سيتم تناول هذه الأساليب والتطبيقات التربوية كما وردت تباعا على ضوء السورة الكريمة:

*** التطمين والبشرى:**

ابتدأت سورة الضحى بالقسم الثنائي، والغرض منه تطمين الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم ترك الله تعالى إياه، وتذكيره بفضله عليه، وتبشيره بالنعمة العظيمة (محسن، 2012، 188).

ويجد "سيد قطب"(1386هـ) أن للقسم في هذه السورة صلة بمشاعر النفس ومظاهر الحياة، لذا يبدو في تصوّره أن الله سبحانه وتعالى يقسم بهاتين الآيتين: (وَالضُّحَى ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾) ليربط بين ظواهر الكون ومشاعر النفس ويوحي إلى القلب البشري بالحياة المتجاوبة مع هذا الوجود الجميل فيعيش ذلك القلب في أنس هذا الوجود غير موحش ولا غريب فيه فريد.

(حسين ونعمان، ب ت، 90)

وقد حملت هذه السورة للنبي صلى الله عليه وسلم أجمل البشرى، ملقية في نفسه الطمأنينة، معدّدة ما أنعم الله به عليه، وكأنه تعالى يقول لرسوله: إنّ من أنعم عليك بكذا وكذا لم يكن ليتركك ولا ينساك بعد أن هيّأك لحمل أمانته، وأعدّك للاضطلاع بأعباء رسالته، فلا تحزن على ما كان من فترة عنك، ولا يكن في صدرك حرج منها، فما ذلك إلا لتثبيت قلبك، وتقوية نفسك على احتمال مشاقّها.. ثم ذكر له ما يثلج صدره، وما فيه كمال الطمأنينة والبشرى؛ فقال: (وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴿٤﴾) .. ثم زاده في البشرى فقال: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿٥﴾).

(المراغي،1946، 183- 184)

*** الرعاية والعناية:**

كما أقسم الله تعالى على الاعتناء برسوله صلى الله عليه وسلم، فقال:" مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ"؛ أي: ما تركك منذ اعتنى بك، ولا أهملك منذ ربّاك ورعاك، بل لم يزل يربيّك أحسن تربية، ويعليك درجة بعد درجة (السّعدي، 2006، 924).

وما ورد في جواب القسم واختيار كلمة "الرب" وإضافتها إلى المخاطب أنسب شيء ها هنا وأدلّ على الرعاية والعناية، فإن الربّ هو المربّيوالمرشد والمالك والسيّد فكيف يودّعك ويقليك وأنت عبده ورسولهوهو سيّدك ومولاك أخرجك من الظلمة إلى نور الوحي والرسالة؟.

(السامرائي، 2002، 113)

كما أن علّة استعمال القرآن الكريم لفظة "رب" في هذا المقام دون غيرها لما تعنيه هذه اللفظة من معنى، إذ الأصل فيها التربية؛ وهيإنشاء الشيء حالا فحالا إلى حدّ التّمام، يقالربّه، وربّاه، وربّبه، وأن الله تعالى أولى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم عناية خاصة منذ نشأته، لكي يعدّه إعدادا تاما لحمل أعباء الرسالة فناسب هذا الاستعمال مع نفي الترك والبغض عنه.

(محسن، 2012، 191)

*** التكريم بالعطاء وتحقيق الرضا:**

يذكر (حرجان، 2013، 308-309) أن الله تعالى يعد نبيه صلى الله عليه وسلم بجزيل العطاء حتى يبلغ درجة الرضا، وقد جاء العطاء في السورة مطلقا لم يحدد، إنما يشمل هذا العطاء كل شيء ولم يخصّص بشيء معيّن إكراما للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وتوسيعا للعطاء، وكذلك أطلق الله تعالى فعل الرضا كما أطلق العطاء فجعل العطاء عاما وجعل الرضا عاما وذكر المعطي أيضا وهو الربوعلينا أن نتخيّل كيف يكون عطاء الرب؟ والعطاء على قدر المعطي، وهذا كله فيه تكريم للرسول صلى الله عليه وسلم، كذلك في إضافة ضمير الخطاب (الكاف في ربك) تكريم آخر للرسول صلى الله عليه وسلم.

إنّ ما وعد الله رسوله الكريم في هذه السورة من أنه سوف يعطيه فيرضى هو من أجلّ النعم، ذلك أن الرضا في الحياة هو أساس الاستقرار والطمأنينة والهناء والسعادة وراحة البال، فإن فقد الرضا حلّت الهموم وحلّ القلق والشقاء وعموم دواعي النكد.

ولا يكون الإنسان مرتاحا ولا هانئا إلا إذا عمّ الرضا جميع جوانب حياته، فإن فقد من جانب منها فقد الإنسان من راحته واستقراره بقدر ذلك الجانب، ولذلك أطلق سبحانه الرضا لنبيّه؛ فقال:" فَتَرْضَى"ولم يقيّده بشيء لا بمال ولا جاه ولا غيرهما (السامرائي،2002، 115).

*** التذكير بالنعم:**

وهنا يذكّر الله عزّ وجل الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان من شأن ربه معه منذ أول الطريق ليستحضر في خاطره جميل صنع ربه به وموّدته له، وفيضه عليه، ويستمتع باستعادة واقع الرحمة والودّ والإيناس الإلهي، وهو متاع فائق تحييه الذكرى على هذا النحو البديع (حرجان، 2013، 310).

*** النهي عن القهر والزجر:**

نهى الله عزّ وجلنبيّه الكريم عن أمرين: قهر اليتيم وزجر السائل، لما لهما من أكبر الأثر في التعاطف والتعاون في المجتمع، ولما فيهما من الشفقة بالضعفاء وذوي الحاجة (المراغي، 1946، 185).

لا تقهر يتيما؛ أي لا تذلّه بل ارفع نفسه بالأدب وهذّبه بمكارم الأخلاق ليكون عضوا في جماعتك ينفعها وتنتفع به، ولا يفسده التذليل والهوان فيكون جرثومة فساد يتعدى أذاها إلى كل من يخالطها من أمتك (عبده، 1923، 112).

ولا تنهر ولا تزجر سائلا؛ أي لا تغلظ عليه ولكن أعطه وردّه ردا جميلا، وقل له قولا حسنا، وقيل: أي لا تكن جبارا ولا متكبرا ولا فحّاشا ولا فظّا على الضعفاء من عباد الله.
(السامرائي، 2002، 119)

*** الشكر والثناء:**

قال مقاتل:اشكر هذه النّعمة التي ذكرتُ في هذه السورة، والتحقيق أن النّعم تعّم هذا كلّه، فأُمِر أن لا ينهر سائل المعروف والعلم، وأن يحدِّث بنعم الله عليه في الدّين والدّنيا.
(الرمضاني، 2006، 408)

وقد تضافرت نصوص الكتاب الكريم على بيان فضائل نعمة الشكر، ومعرفة هذه الفضائل تدعو إلى شحذ الهّمم والقلوب لتكون شاكرة لله تعالى مطيعة له؛ ومن هذه الفضائل:

– منزلة الشكر أعلى المنازل؛ وهي فوق منزلة الرضا وزيادة، فالرضا مندرج من الشكر، والشكر نصف الإيمان، فالإيمان نصفان: نصف شكر ونصف صبر.

– الشكر طريق الرضا، فإن داوم العبد على الشكر رضي الله له شكره وقبله منه، فرضا الرب عن عبده إنما يكون بشكر العبد له.

وأما التحدّث بنعمة اللهفهو صورة من صور الشكر للمنعم يكملها البر ّ بعباده، وهو المظهر العملي للشكر، والحديث الصامت النافع الكريم (حرجان، 2013، 316-317).

*** المبحث الثاني: الدافعية للتعلم مفهومها ووظائفها وأساليب إثارتها لدى المتعلم**

*** المطلب الأول: الدافعية للتعلم: مفهومها ووظائفها**

تزخر أدبيات البحث في علم النفس والتربية بتعريفات متنّوعة ومتعدّدة حول مصطلح الدافعية للتعلم، ولعل التّعوفي ضبط المفهوم يرجع بالأساس إلى تعدّد نظريات علم النفس واختلاف وجهات نظرها حوله، ولا يسعنا في هذا المقام سرد جميع التعريفات حسب كل نظرية وإنما الاكتفاء بتناول ما يخدم موضوع البحث الحالي.

تعتبر الدافعية للتعلم حالة داخلية لدى المتعلم تحرك أفكاره ووعيه، وتدفعه إلى الانتباه للموقف التعليمي والقيام بالأنشطة التي تتعلق به، والاستمرار في أداء هذه الأنشطة حتى يتحقّق التعلم كهدف للمتعلم (توق، قطامي، عدس، 2003).

كما تمثّل مجموعة من المشاعر التي تدفع المتعلم إلى الاندماج في الأنشطة التعليمية المختلفة بما يسهم في تحقيق الأهداف التعليمية المنشودة (الطنّاوي،2011، 147).

ولما كانت الدافعية وسيلة لتحقيق أهداف التعلم؛ فهي تسعى بدورها إلى تحقيق الوظائف التالية:

تعمل الدافعية على جمع الطاقة اللازمة لممارسة نشاط ما، مما يؤدي إلى تنشيط سلوك الفرد ودفعه إلى القيام بعمل من أجل إزالة التوتر وإعادة الجسم إلى الاتزان السابق (الداهري،2005، 181).

كما تعمل على تحديد مجال النشاط السلوكي الذي يوّجه إليه الفرد اهتماماته من أجل تحقيق أهداف وأغراض معينة، فالسلوك بدون وجود دافع يصبح عشوائيا وغير هادف.
(القذافي،1998، 173)

والدافعية تساعد المتعلم على تحصيل المعرفة والمهارات وغيرها من الأهداف، فالمتعلمين الذين يتمتعون بدافعية يتم تحصيلهم الدراسي بفاعلية أكبر، في حين المتعلمين الذين ليس لديهم دافعية عالية قد يصبحون مصدر سخرية داخل القسم (عمر،1987، 95).

*** المطلب الثاني: أساليب إثارة الدافعية لدى المتعلم:**

وتشمل مختلف الإجراءات والأساليب التي يستخدمها المعلم من أجل إثارة دافعية المتعلمين نحو التعلم والعمل على تعزيزها والحفاظ على استمراريتها.

إنّ إدراك المعلم لأهمية الدافعية للتعلم ودوره في إثارتها لدى المتعلم يؤثر بشكل إيجابي على نواتج التعلم ويساهم في تحسين العملية التربوية، لذا يقترح الباحثون في علم النفس والتربية عدّة إجراءات وأساليب تساعد المعلم على استثارة دافعية المتعلمين نحو التعلم وتعزيزها، وتؤدي إلى تحسين مستوى تحصيلهم الدراسي، وفي ما يلي أهم هذه الأساليب:

– جعل بيئة الصفّ آمنة سيكولوجيا، فالحاجة إلى الأمان يمكن تحقيقها من خلال الجّو العام في غرفة الصفّ (سليم، 2004، 304).

– بناء مناخ صفّي تتوافر فيه الشروط الكفيلة بإشباع حاجات المتعلمين للانتماء واحترام الذات، واستبعاد أية عوامل تهديدية تثير قلق المتعلمين ومخاوفهم.. وتؤدي بالتالي إلى إحباط دافعيتهم وفشلهم (نشواتي،2003، 222).

– العمل على تنمية العواطف الإيجابية لدى المتعلمين؛ مثل الثقة في قدرتهم على الإنجاز، وأن يكون المتعلم قادرا على توجيه تساؤلات كثيرة عن موضوع التعلم، وأن نجعل المتعلم أكثر تركيزا واهتماما بالموضوع المدروس، وتجنّب استثارة العواطف السلبية عنده (إبراهيم وحسب الله، 2002).

– العمل على تنظيم الأنشطة التعليمية الصفّية بشكل يراعي حاجات المتعلم وقدراته واستعداداته، والمعلم الكفء هو الذي يمتلك القدرة على الوقوف على حالة المتعلم الداخلية التي تدفعه إلى الانتباه إلى الموقف التعليمي، والقيام بنشاط موّجه والاستمرار فيه حتى يتحقّق الهدف (قطامي،2004).

– تحقيق الإشباع لدى المتعلمين؛ حيث ينطوي هذا الأسلوب على خلق القناعة والرضا لدى المتعلمين بالإنجاز أو التحصيل الذي حقّقوه من تعلم المحتوى من خلال استخدام المعّززات والمكافآت المختلفة لأداءاتهم كالعلامات والثناء والمديح، ولوحات الشرف، وشهادات التقدير، وعرض أعمال

المتعلم في الصفّ أو المدرسة، إضافة إلى تأكيد أهمية وقيمة النتائج أو التحصيل الذي حقّقه المتعلمون وعزو ذلك إلى جهودهم وطاقاتهم الذاتية.

– تزويد المتعلم بمتطلبات التعلم القبلية ومساعدته على تذكّر التعلم السابق ذو العلاقة للاستفادة منه في التعلم الجديد.

– استخدام الأمثلة الواردة في البيئة التي يعيش فيها المتعلم (الزغلول،2012، 229-230).

– استخدام التغذية الراجعة لتعريف المتعلم بنتائجه الإيجابية (الزبيدي،2003).

* المبحث الثالث: سبل توظيف التطبيقات التربوية المتضمنة في سورة الضحى في إثارة الدافعية لدى المتعلم

إنّ المتأمّل في جملة التطبيقات التربوية المستنبطة من سورة الضحى يجدها تعكس أهم الأساليب التي يستخدمها المعلم في إثارة الدافعية لدى المتعلمين ورفع أدائهم التحصيلي، والتي يمكن أن يستفاد منها في تحقيق أهداف التعلم وتحسين العملية التعليمية–التعلّمية، وهذا بدوره يؤكّد على السبق القرآني في حلّ المشكلات المعاصرة لاسيما المشكلات التربوية وما يتسبّب في انخفاض دافعية المتعلمين نحو التعلم والتحصيل والإنجاز.

وعليه، سيتم تقديم صيغة تربوية للاستفادة من تلك التطبيقات التربوية في استثارة الدافعية لدى المتعلم، ويمكن إجمال هذه الصيغة فيما يلي:

* تحديد الوقت المناسب للتعلم:

أشار (الزحيلي،ب ت، 668) إلى أن الله خصّ وقت الضحى بالذكر لأنه وقت اجتماع الناس، وكمال الأنس بعد وحشة زمان الليل، وذكر الضحى هو ساعة من النهار، وذكر الليل كلّه إشارة إلى أن ساعة من النهار في الإنتاج توازي جميع الليل.

وأشار (حسين،2007، 27-33) إلى فائدة وقت الضحى في التعلم أن ضوء الشمس يساعد في تنظيم العمليات الحيوية في الجسم، كما يساعد في تحسين البيئة والصحة البدنية والنفسية وتحفيز النشاط، كما يبعث ضياء الشمس على النشاط والحركة .. ويبعث على الفرح والسرور والأمل والتفاؤل والتأمل والتفكّر في الإبداع وجمال الوجود، بحثا عن الغاية من الوجود ومن الحياة، وهو صميم الغاية من التعلم.

*** توفير مناخ صفّي مفعم بالأمن النفسي:**

ذكرنا فيما سبق أن القسم الإلهي جاء لغرض التطمين وحمل البشرى على نفس النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتور الوحي وحزنه على انقطاعه، فجاء المدّد الرباني ينساق عذبا زلالا على قلبه صلى الله عليه وسلم، وجاءت البشرى بأن يا نّبي الله ما ودّعناك وما قلیناك بعد أن هيأناك لحمل شرف الأمانة.

والطمأنة والبشرى من الناحية السيكولوجية هي إشباع الحاجة إلى الأمن؛ هذه الأخيرة تستثار عند الفرد عندما يشعر بالتهديد وعدم الاستقرار، ولا يقتصر الشعور بالأمن هنا على الجانب المادي بل يتعداه إلى الجانب النفسي والمعنوي أيضا.

والمتعلم داخل الصفّ بحاجة إلى أمن نفسي ليتعلم سلوك المبادرة ويمارس نشاطاته التعليمية بحرية وتلقائية، لذا يتوّجب على المعلم أن يوفّر مناخا صفّيا آمنا لتحقيق دافع الفهم والمعرفة، فضلا عن إثارة دافع التعلم لدى المتعلم من أجل تحسين أدائه التحصيلي.

*** وضع برامج تعزيز مناسبة:**

وقد جاء جواب القسم ليمنح النبي صلى الله عليه وسلم كل كرامات الدنيا والآخرة، بدءا بتعهده بالرعاية الإلهية، ثم تبليغه بأن الخير المرصود له في الآخرة خير له من ذاك الذي كان في الأولى، ثم وعده بالعطاء حتى يبلغ درجة الرضا.

هذه الكرامات هي بمثابة تعزيزات خصّ الله بها رسوله تكريما له وتعظيما لشأنه صلى الله عليه وسلم.

والتعزيز –من الناحية السيكولوجية– يعمل على زيادة فعالية التعلم، وزيادة فعالية مشاركة المتعلمين في الأنشطة التعليمية داخل الصفّ، لذا يحتاج المتعلم إلى الشعور بالانتماء وتقدير الذات، فينبغي على المعلم أن يشعره بالاهتمام والانتماء إلى الصفّ الدراسي من باب الرعاية والعناية به واحترام ذاته (سليم،2003، 502)، وأن يستخدم التعلم من أجل إشباع حاجات المتعلم للنجاح مما يبعث على تحقيق الرضا لديه بالتحصيل والإنجاز.

وإنّ الحكمة في التعامل مع المتلقي طالبا كان أو متعلما من خلال شدّ أزره وتشجيعه وتحفيز طاقاته الكامنة وتعزيز ثقته بنفسه (حرجان، 2013، 320).

هـذا؛ ويـؤمن علمـاء السـلوك بأهميـة المكافـأة الماديـة، فـدعاة تشـكيل السـلوك يؤمنـون بـأن السـلوك يتشـكّل عـن طريـق التـدعيم، فـإذا لم يـتعلم التلاميـذ فمعـنى ذلـك أنـه لم يقـدم لهـم الباعـث الحقيقي والمدّعمات أو المعّززات المشبعة (سليم، 2004، 307).

كما تؤّكد النظريات الارتباطية والسلوكية على أهمية دور التعزيز في التعلم، وعلى قدرته على اسـتثارة دافعيـة المـتعلم وتوجيـه نشـاطاته، ويأخـذ التعزيـز في الأوضـاع التعليميـة أشـكالا متنوعـة؛ كالإثابات المادية، والعلامات المدرسية، والنشاطات الترويحية.

وعليه، يستطيع المعلم وضع برامج تعزيز مناسبة تستثير دافعية المتعلمين التحصيلية، وتعّزز رغباتهم في النجاح (نشواتي،2003، 221).

*** استثارة حاجات المتعلمين للإنجاز والنجاح:**

كما وردت أدلة جواب القسم تحمل تعداد نعم الله على نبيه صلى الله عليه وسلم لتقوية قلبه وتشجيعه على السير في طريقه التي اختارها الله له؛ وهي طريق محمودة العواقب سليمة المغاب، فهو يبثّ في نفسه الطمأنينة فالذي أولاه كل هذه النعم ورعاه كل هذه الرعاية وانتدبه لهذا الأمر ما كان ليضيعه أو يخيبّ أمله (حسين ونعمان، ب ت، 101-102).

وهنواجـب أن ننبّـه إلى ضـرورة تبديـد مشـاعر الخـوف والقلـق مـن الفشـل لـدى المتعلمـين ومساعدتهم على تحقيق النجاح من خلال تزويدهم بالفرص المناسبة، وكذا عزو النجاح لجهود المتعلم وتعزيز الشعور لديه بأنه عنصر فّعال في عملية التعلم (الزغلول،2012، 230).

كمـا تبـّين بعـض نظريـات الدافعيـة أن حاجـات الفـرد للإنجـاز والنجـاح متـوافرة لـدى جميـع الأفراد ولكـن بمستويات متباينـة، وقـد لا يبلـغ مستوى هـذه الحاجـات عنـد بعـض الطـلاب لسـبب أو لآخر حدا يمكّنهم من صياغة أهدافهم وبذل الجهود لتحقيقها، لذلك يترتب على المعلم توجيه انتباه خاص لمثل هؤلاء الطلاب، وبخاصة عندما يظهرون سلوكا يدل على عدم رغبتهم في أداء أعمالهم المدرسية.

إن تكليف الطالب ذي الحاجة المنخفضة للإنجاز والنجاح بمهام سهلة نسبيا يضمن نجاحه فيهـا، والإقـلال مـن قيمـة النتـائج غـير المرغـوب فيهـا والمترتبـة عـن الفشـل يمكـن أن يؤديـا إلى اسـتثارة حاجة هذا الطالب للإنجاز وزيادة مستوى رغبته في النجاح (نشواتي،2003، 220).

*** تجنّب صعوبات فرص النمو:**

وما ترتب على ما سبق؛ جاءت التوجيهات الربانية إلى إكرام اليتيم والنهي عن قهره وكسر خاطره وإذلاله، وإلى إغناء السائل مع الرفق به، والتحدث بنعمة الله شكرا للمنعم، ولما لشكر النعمة من فضائل تدعو إلى شحذ الهّمم والقلوب لتكون شاكرة لله تعالى مطيعة له (حرجان، 2013، 316).

ومن التوجيهات التربوية في هذا الشأن أن يتحلى المعلم بالرفق واللين في تعامله مع الطلاب، مما ينعكس ذلك على تجاوبهم وتفاعلهم مع الأنشطة التعليمية.

وإذا كان المعلم يتخذ مواقف تسبّب ضعفا وتوترا وقلقا، فإن طلابه سوف يفضلون السلامة بعدم اشتراكهم، ولكنه إذا قلّل الأخطاء فإن الطلاب سوف يشتركون حتى أولئك الذين لا يشعرون بالأمان (سليم،2003، 503).

هذا؛ ويضيف (حسين،2007، 151-226) جملة من التوجيهات التربوية المستمدة من توجيهات الإسلام الإنسانية، منها:

- أن نأخذ العبرة والدرس بأن نفتّش عن الموهوبين والعظماء من تحت ركام الفقر واليتم والحرمان، فكم من موهوب ضاعت موهبته تحت ركام الفقر والحرمان، ولو توفرت الرعاية المناسبة لهؤلاء المحرومين لحصد المجتمع من نتاج عبقريتهم وعظمتهم الكثير.
- ضرورة تواضع أهل العلم وعدم تكّبرهم على الطلاب بعلمهم.
- الحرص على بناء النفس وتطويرها.
- تربية النشءعلى التخطيط لاستقرار حياتهم وتقدّمها واختيار الأعمال التي تساهم في رقيّ هم الفكري والنفسي، والتأكيد لهم على أهمية التعليم والتدريب المهني في تقدّمهم الوظيفي والمهني.
- شكر نعمة تولّي الوظائف العامة في المجتمع وأداء حقّها الذي يتمثل في إخلاص الموظف في عمله والقيام بواجباته خير قيام.

*** خلاصة:**

بعد هذه الجولة الماتعة في رحاب سورة الضحى يتّضح بأنها زاخرة بالومضات التربوية الهادفة، حيث ابتدأت بالتفاؤل والإشراق بوقت الضحى، ثم بالسكينة والأمن بوقت الليل، وقد نزلت لتطمئن النبي صلى الله عليه وسلم باستمرار المدد الرباني وزفّ البشرى بنعم الله الجليلة، ثم ذكر الله تعالى بما أولى علىنبيّه صلى الله عليه وسلم من الرعاية والعناية، ثم بشّره بنيل أعظم الكرامات في الآخرة، وختم الخطاب القرآني بتذكيره صلى الله عليه وسلم بالنعم التي حباه الله بها وأردفها بوصايا مقابل تلك النعم، ليكون ترتيب الآيات على نحو ما ورد هو أمثل ترتيب وأنسب.

كما اتّضح من خلال أدبيات البحث في علم النفس والتربية حول أساليب استثارة الدافعية لدى المتعلّم المربّون ينبّهون إلى ضرورة إشباع حاجات المتعلم للأمن والانتماء وتقدير الذات، بالإضافة إلى تنويع وسائل التعزيز الإيجابي بما يضمن الاستفادة القصوى من الطاقات البشرية وتخريجها لخدمة المجتمع على نحو أفضل.

وعليه، فإن القرآن الكريم قد حاز في هذا المضمار قصب السبق لنقّر بأن تلك الومضات التربوية التي اقتبست من أنوار سورة الضحى هي بمثابة تطبيقات تربوية ينبغي توظيفها في استثارة الدافعية للتعلم لدى المتعلمين من أجل تحقيق أهداف التعلم وتحسين مخرجات المؤسسات التعليمية.

*** المصادر والمراجع:**

*** القرآن الكريم.**

1- إبراهيم، مجدي عزيز وحسب الله، محمد عبد الحليم(2002)، التفاعل الصفّي: مفهومه- تحليله- مهاراته، ط:01، القاهرة: عالم الكتب.

2- توق، محي الدين وقطامي، يوسف وعدس، عبد الرحمن(2003)، أسس علم النفس التربوي، ط:03، عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

3- حرجان، جاسم محمد(2013)، الأساليب التربوية في سورة الضحى دراسة موضوعية، جامعة بغداد: كلية العلوم الإسلامية.

4- حسين، عبد الله حميد ونعمان، أثير طارق(ب ت)، علّل الاختيارات القرآنية في سورة الضحى دراسة تعبيرية، المجلة العالمية لبحوث القرآن.

5- حسين، عبد الوهاب(2007)، سورة الضحى: فوائدها وخصائصها عند النبي وأهل بيته، ط:01، بيروت: دار المحّجة البيضاء.

6- الداهري، صالح حسين(2005)، مبادئ الصحة النفسية، ط:01، عمان: دار وائل للنشر.

7- الرمضاني، عبد الملك بن أحمد(2006)، من كل سورة فائدة، الجزائر: منار السبيل، الدار الأثرية للنشر والتوزيع.

8- الزبيدي، خولة فاضل(2003)، أساليب التعليم والتعلم الحديثة، الرياض: معهد الإدارة العامة.

9- الزحيلي، وهبة(ب ت)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر: آفاق معرفة متجدّدة.

10- الزغلول، عماد عبد الرحيم(2012)، مبادئ علم النفس التربوي، العين: دار الكتاب الجامعي.

11- السامرائي، فاضل صالح(2002)، على طريق التفسير البياني(ج1)، النشر العلمي(6)، جامعة الشارقة: كلية الآداب والعلوم، قسم اللغة العربية وآدابها.

12- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر(2006)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الرياض: دار أضواء البيان.

13- سليم، مريم(2003)، علم نفس التعلم، ط:01، بيروت: دار النهضة العربية.

14- سليم، مريم(2004)، علم النفس التربوي، ط:02، بيروت: دار النهضة العربية.
15- سليم، مصطفى وآخرون (2010)، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، جامعة الشارقة: كلية الدراسات العليا والبحث العلمي.
16-الطنّاوي، عفّت مصطفى(2011)، التدريس الفّعال، ط:02، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
17- عبده، محمد(1923)، تفسير القرآن الكريم (جزء عّم)، ط:03، المملكة العربية السعودية: الجمعية الخيرية الإسلامية.
18- العثيمين، محمد بن صالح(2003)، تفسير القرآن الكريم (جزء عّم)، ط:03، الرياض: دار الثريا للنشر والتوزيع.
19- عمر، بدر(1987)، دراسات مسحية للدافعية لدى طلاب الجامعة، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 04، الكويت.
20- القذافي، رمضان محمد(1998)، الصحة النفسية والتفّوق، ط:03، القاهرة: المكتب الجامعي الحديث.
21- قطامي، نايفة(2004)، التعلم: أسسه ونظرياته وتطبيقاته، القاهرة: دار المعرفة الجامعية.
22- قطب، سيدّ(ب ت)، في ظلال القرآن.
23- محسن، مجيد جابر(2012)، علّل التعبير القرآني في سورتي الضحى والتين، مجلة دراسات تربوية، العدد العشرون، تشرين الأول، بغداد: الكلية التربوية المفتوحة.
24- المحلي، جلال الدين والسيوطي، جلال الدين(ب ت)، القرآن الكريم بهامشه تفسير الجلالين، الإسكندرية: دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع.
25- المراغي، أحمد مصطفى(1946)، تفسير المراغي، ط:01، مصر: شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي.
26- نشواتي، عبد المجيد(2003)، علم النفس التربوي، ط:04، عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع.